﴿۞وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢﴾ [المائدة: 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

كان من أسباب نزول الآية السَّابقة: أنَّ اليهود لا أمان لهم، ولا عهود تربطهم، ولا مواثيق تلزمهم، وذلك في استدراجهم الرَّسول ﷺ وما "همُّوا به من قتل النَّبيِّ ﷺ بإلقاء الرَّحى عليه من سطح البيت الذي أجلسوه إلى جانبه، بقوله إشارة إلى أنَّ اليهود ما زالوا على النَّقض قديمًا"،[1] فجاءت هذه الآية تتحدَّث عن الميثاق الَّذي أخذ على بني إسرائيل بالسَّمع والطَّاعة، فهو يقول للرَّسول ﷺ ومن معه من المؤمنين: "لا تستعظموا أمرَ الذين همُّوا ببسط أيديهم إليكم من هؤلاء اليهود، بما همُّوا به لكم، ولا أمرَ الغدر الذي حاولوه، وأرادوه بكم، فإنَّ ذلك من أخلاق أوائلهم وأسْلافهم، لا يَعْدُون أن يكونوا على منهاج أوَّلهم، وطريق سَلَفِهم"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَخَذَ﴾: فعل ماضٍ، وجذره اللُّغويُّ من: (أخذ)، وأخذ شيئًا بمعنى: تناوله[3]، والأصل في معناه: "حَوْزُ الشَّيْءِ وَجَبْيُهُ وَجَمْعُهُ، تَقُولُ: أَخَذْتُ الشَّيْءَ آخُذُهُ أَخْذًا، قَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ خِلَافُ الْعَطَاءِ، وَهُوَ التَّنَاوُلُ"[4].

والأخذ في حقيقته: التَّناول، لكن قد يستعمل مجازًا في أشياء أخرى كالقهر والاستيلاء

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/47.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 10/109.
(3) الخليل، العين: (أخذ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أخذ).

والإحاطة وغيرها[1]، و"المعنى المحوريُّ: حَوْزُ الشَّيء في الأثناء ضمًّا أو قبضًا على غِلَظ ماديٍّ أو معنويٍّ... وقد جاء أكثر (أخذ) بمعنى: القبض الحقيقيِّ، أو المجازيِّ (55 مرة)... ومنها 18 مرة في أخذ الميثاق، وهو تقييد من باب القبض"[2] والمعنى في الآية: أَخَذَ اللّه مِيثاقَهم أنْ يُخْلِصُوا لَهُ العِبادَةَ، ولا يَعْبُدُوا غَيْرَهُ، وأنْ يَعْمَلُوا بِما في التَّوْراةِ[3].

2) ﴿مِيثَٰقَ﴾: اسم على وزن (مِفْعَال)، الجذر اللُّغويُّ منه: (وثق)، والفعل منه (وَثِقَ يَثِقُ)، والوثيق منه بمعنى: المحكم، والوثاق: الحبل والرِّباط، والميثاق مأخوذ من المواثقة والمعاهدة[4].

والأصل في معناه: دلالته "عَلَى عَقْدٍ وَإِحْكَامٍ، وَوَثَّقْتُ الشَّيْءَ: أَحْكَمْتُهُ، وَنَاقَةٌ مُوَثَّقَةُ الْخَلْقِ، وَالْمِيثَاقُ: الْعَهْدُ الْمُحْكَمُ، وَهُوَ ثِقَةٌ، وَقَدْ وَثِقْتُ بِهِ"[5].

ويقال: "وَثِقْتُ به أَثِقُ ثِقَةً: سكنت إليه، واعتمدت عليه، وأَوْثَقْتُهُ: شددته، والوَثَاقُ والوِثَاقُ: اسمان لما يُوثَقُ به الشَّيء، والوُثْقَى: تأنيث الأَوْثَق، قال تعالى: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦﴾ [الفجر: 26]، والمِيثاقُ: عقد مؤكَّد بيمين وعهد"[6].

والميثاق بمعنى: الرِّباط، ومن استعمالاته المعنويَّة العهد والمعاهدة، وهو بمنزلة الرِّباط المعنويِّ[7]، والمعنى في الآية: ما أُخذ عليهم من اتِّباع الرَّسول ﷺ وأداء فرائض اللّه تعالى[8].

3) ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: اسم أعجميٌّ، وما كان كذلك؛ فلا تنطبق عليه حدود الصَّرف العربيِّ، إلَّا أنَّ ابن منظور من بين المعجميِّين جعل له جذرًا هو (سرأل)، فقال "إِسْرَائِيلُ وإِسْرائينُ: زَعَمَ يعقوب أَنَّه بدل اسم مَلَكٍ"[9].

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (أخذ).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أخذ).
(3) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/526.
(4) الخليل، العين: (وثق).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وثق).
(6) الراغب، المفردات: (وثق).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وثق).
(8) الشوكاني، فتح القدير: 4/207.
(9) ابن منظور، لسان العرب: (سرأل).

وقيل: إنَّ كلمة (إسرائيل) هي لقب ليعقوب أبي يوسف - عليه السلام - "مَعْنَاهُ عبد الله؛ لِأَنَّ (إيل) اسْم من أَسمَاء الله بالسُّرْيَانيَّة؛ وَقيل صفوة الله، وَقيل: سرُّ الله"[1]، فيما جعله السهيليُّ اسمًا ليعقوب، وليس لقبًا[2].

وذكر الزَّبيديُّ في شأنه "(وإِسْرَالُ) يأْتي (في) حَرْفِ (اللَّام)، وَلم يَذْكُرْهُ هُنَاكَ سَهْوًا مِنْهُ، وَهُوَ مخفَّفٌ عَن إِسرائيلَ، وَمَعْنَاهُ صَفْوَةُ الله، وَقيل: عبدُ الله"[3].

وقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [نحو: البقرة: 40] في جميع القرآن: "خطاب لذرِّيَّة يعقوب، وفي ذرِّيَّته انحصر سائر الأمَّة اليهوديَّة، وقد خاطبهم بهذا الوصف دون أن يقول: يا أيُّها اليهود؛ لكونه هو اسم القبيلة، أمَّا اليهود؛ فهو اسم النِّحلة والدِّيانة"[4].

4) ﴿نَقِيبًا﴾: صفة مشبَّهة باسم الفاعل، وهي (فَعِيل) بمعنى: (فاعِل)، ويجوز أن يكون مبالغة اسم الفاعل كعليم وخبير، والجذر اللُّغويُّ له من: (نقب) "ونقب الرَّجل في الْبِلَاد؛ إِذا جاسها، ونقيب الْقَوْم: عريفهم، وَالْجمع نقباء، وَكَذَا فُسِّر فِي التَّنْزِيل: ﴿ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبًا﴾"[5] وهو مشتقٌّ من التَّنقيب: وهو التَّفتيش، وسمِّي بذلك؛ لأنَّه يفتِّش عن أحوال القوم وأسرارهم، والأصل في معناه: دلالته "عَلَى فَتْحٍ فِي شَيْءٍ... وَمِنَ الْبَابِ: النَّقَّابُ: الْعَالِمُ بِالْأُمُورِ، كَأَنَّهُ نَقَّبَ عَلَيْهَا، فَاسْتَنْبَطَهَا، أَوِ الْعَالِمُ بِهَا الْمُنَقِّبُ عَنْهَا... وَالنَّقِيبُ: نَقِيبُ الْقَوْمِ: شَاهِدُهُمْ وَضَمِينُهُمْ، وَمَعْنَاهُ وَمَعْنَى النِّقَابِ: الْعَالِمُ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهُ يُنَقِّبُ عَنْ أُمُورِهِمْ"[6].

"والنَّقيب: الَّذي ينقِّب عن أحوال القوم، ويفتِّش عنها، كما قيل له: عريف، لأنَّه يتعرَّفها"[7].

5) ﴿أَقَمۡتُمُ﴾: فعلٌ مضارع دالٌّ على الحال والاستقبال، الجذر اللغويُّ منه: (قوم)،

(1) الكفوي، الكليات، ص: 216.
(2) السهيلي، الروض الأنف: 1/87.
(3) الزبيدي، تاج العروس: (سرأل).
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 1/449.
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة: (نقب).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نقب).
(7) الزمخشري، الكشاف: 2/215.

ومصدرُه: الإقامةُ والدَّوامُ[1]، ويقالُ أقامَ الصَّلاةَ؛ إذا داومَ عليهَا، أمَّا إذا قيلَ أقامَ للصَّلاةِ؛ فمعناهُ نادَى عليها[2] بألفاظِ الإقامةِ.

وجوَّزَ بعضُ أهلِ العلمِ أنْ يكونَ ذلكَ من التَّقويمِ، وهوَ التَّعديلُ، من قولكَ: قوَّمتُ العودَ؛ إذا عدَّلتُه، ويكونُ معنَى (إقامَ الصلاةِ) على معنى: الإتيانِ بها على وجهِ المحافظةِ على أركانِها وشروطِها ومكمِّلاتِها[3].

ويحتملُ في إقامةِ الصَّلاةِ بمعنَى: إظهارِها؛ أخذًا من قولِهم: أُقيمتِ السُّوقُ،[4] ولامانعَ من الجمعِ بينَ تلكَ المعاني، فيكونُ معنَى إقامِ الصَّلاةِ داومَ عليهَا، وأظهرَها وأتَى بها محافظًا على أركانِها وشروطِها ومكمِّلاتِها، ومعنى إقامة الصَّلاة في الآية، أي: "ظاهرًا وباطنًا، بالإتيان بما يلزم، وينبغي فيها، والمداومة على ذلك"[5].

6) ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: فعل ماضٍ مضعَّف، مسند للجماعة، الجذر اللُّغويُّ منه: (عزر)، والمصدر منه التَّعزير، ومن معانيه الضَّرب دون الحدِّ والنُّصرة والمؤازرة[6]، والأصل في معناه: دلالتان "إِحْدَاهُمَا: التَّعْظِيمُ وَالنَّصْرُ، وَالْكَلِمَةُ الْأُخْرَى: جِنْسٌ مِنَ الضَّرْبِ، فَالْأُولَى: النَّصْرُ وَالتَّوْقِيرُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: 9]، وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: التَّعْزِيرُ، وَهُوَ الضَّرْبُ دُونَ الْحَدِّ"[7].

و"التَّعْزِيرُ: النُّصرة مع التَّعظيم، قال تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ [الفتح: 9]، وقال ﷺ: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾، والتَّعْزِيرُ: ضربٌ دون الحدِّ، وذلك يرجع إلى الأوَّل، فإنَّ ذلك تأديب، والتَّأديب نصرةٌ ما، لكنَّ الأوَّل نصرة بقمع ما يضرُّه عنه، والثَّاني: نصرة بقمعه عمَّا يضرُّه، فمن قمعته عمَّا يضرُّه؛ فقد نصرته"[8]، ومعنى ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ في الآية، أي: أيَّدتموهم ونصرتموهم بأن رددتم عنهم أعداءهم[9].

(1) الهروي، الغريبين: 5/1596.
(2) الفيومي، المصباح المنير: (قوم).
(3) النبراوي، حاشية على الأربعين النووية، ص: 37.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/85.
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 225.
(6) الخليل، العين: (عزر).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عزر).
(8) الراغب، المفردات: (عزر).
(9) السمين، عمدة الحفاظ: (عزر).

7) ﴿وَأَقْرَضْتُمُ﴾: فعل ماضٍ مسند للجماعة، الجذر اللُّغويُّ منه (قرض)، "والقرضُ: اسمٌ لكلِّ مَا يُلتمَس عَلَيْهِ الجزاءُ مِن صدَقةٍ، أَو عملٍ صَالح، وأصلُ القرْض في اللُّغة: القَطْعُ، وَمنه أُخِذَ المِقراض، وأَقْرَضْتُه، أَي: قطَعتُ لَهُ قِطْعَة يُجازى عَلَيْهَا"[1].

أمَّا الأصل في معناه؛ فهو "يَدُلُّ عَلَى الْقَطْعِ، يُقَالُ: قَرَضْتُ الشَّيْءَ بِالْمِقْرَاضِ، والْقَرْضُ: مَا تُعْطِيهِ الْإِنْسَانَ مِنْ مَالِكَ لِتُقْضَاهُ، وَكَأَنَّهُ شَيْءٌ قَدْ قَطَعْتَهُ مِنْ مَالِكَ"[2].

والقرض هنا: يراد به الصَّدَقة، سواء أكانت من باب الواجب أم المندوب، وسمِّي قرضًا من باب المجاز؛ إكرامًا للمتصدِّقين به، وإلَّا فهو صدقة يعود إليهم مقابله وبدله، أي: ثوابه[3]، "وَمَعْنَى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّـهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: الصَّدَقَاتُ غَيْرُ الْوَاجِبَةِ"[4].

8) ﴿كَفَرَ﴾: فعل ماضٍ، وجذرُهُ اللغويُّ من: (كفر)، "وكلُّ شيء غطَّى شيئًا فقد كَفَرهُ... والكَفَّارة: ما يكفِّر به من الخطيئة واليمين، فيمحى به"[5].

وهو "يدلُّ على معنى واحدٍ، وهوَ السَّترُ والتَّغطيةُ، يقالُ لمنْ غطَّى درعَهُ بثوبٍ: قدْ كفرَ درعَهُ"[6].

"ووصْفُ اللَّيلِ بالكافرِ لسترِه الأشخاصَ، والزُّرَّاعَ لسترِه البذرَ في الأرضِ"[7]، ومعنى كفر في الآيةِ: "فمن جحد منكم - يا معشر بني إسرائيل - شيئًا ممَّا أمرته به فتركه، أو ركب ما نهيته عنه"[8].

9) ﴿ضَلَّ﴾: فعلٌ ماضٍ، ويسمَّى مضعَّفُ الثلاثيِّ، والجذر اللغويُّ منه: (ضلل)، والفعل منه: "ضلَّ يضِلُّ ضلالًا، والضَّلال: ضدُّ الْهدى، وضلَّ فِي الْأَمر ضلالًا؛ إِذا لم يهتدِ لَهُ، وضلَّ فِي الأَرْض ضلالًا؛ إِذا لم يهتدِ للسَّبيل"[9].

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (قرض).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قرض).
(3) السمين، عمدة الحفاظ: (قرض).
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/142.
(5) الخليل، العين: (كفر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كفر).
(7) الراغب، المفردات: (كفر).
(8) ابن جرير، جامع البيان: 10/124.
(9) ابن دريد، جمهرة اللغة: (ضلل).

والأصلُ في معناهُ: "ضياعُ الشَّيءِ، وذهابُه في غيرِ حقِّه"[1].

و"الضَّلَالُ: العدولُ عن الطَّريق المستقيم، ويضادُّه الهداية، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ﴾ [هود: 108]، ويقال: الضَّلَالُ لكلِّ عدولٍ عن المنهج، عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا"[2].

والمقصودُ من فعل الضَّلال في الآية: هو الخطأ والانحراف عن قصد الطَّريق[3].

10) ﴿سَوَآءَ﴾: اسمٌ على وزنِ (فَعَال)، جذرُه اللُّغويُّ من (سوي)، ومنه: "السِّيُّ: المكان المستوي، وهما سِيَّانِ، أي: مثلان، أراد بهما: سواءان، غير أنَّ العرب تقول: هما سواء، وكذلك في الجميع والواحد، وإذا جمعوا سِيَّان؛ قالوا: سواسية، ولم يقولوا: سواسين كذا وكذا، وهم سواء"[4].

والأصلُ في معناهُ: أنْ يدلَّ "على استقامةٍ واعتدالٍ بينَ شيئينِ، يقالُ: هذَا لا يساوِي كذا، أيْ: لا يعادلُه، وفلانٌ وفلانٌ على سويَّةٍ من هذا الأمرِ، أيْ: سواءٌ"[5].

"وَسَوَاء الشَّيْء: وَسطُه... وَوضعتُ الشَّيْءَ في سَوَاءِ كمِي، أَيْ: فِي وَسطِه"[6] ويمكنُ أنْ يكونَ السَّواءُ هو القصد؛ لأنَّ ابنَ قتيبةَ فسَّرَ اللَّفظةَ في الآيةِ بقولِه سَوَاءَ السَّبِيلِ، أيْ: قصدَ الطَّريقِ ووسطِه"[7].

ويوصفُ المكانُ بالسَّواءِ كنايةً عنْ عدلِه وتوسُّطِه بينَ الفريقينِ، والمرادُ في الآيةِ: أنَّهمْ ضلُّوا عن وسطِ الطَّريقِ؛ لأنَّ سواء كلِّ شيء وسطه[8]، فإذا كانُوا كذلكَ؛ فهمْ لغيرِه أضلُّ.

11) ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: اسمٌ على وزنِ (فَعِيل)، جذرُه اللُّغويُّ من (سبل)، ولهُ أصلٌ واحدٌ "يدلُّ على إرسالِ شيءٍ من علوٍّ إلى سفلٍ، وعلى امتدادِ شيءٍ... والممتدُّ طولًا: السَّبيلُ، وهو الطَّريقُ، سمِّيَ بذلكَ لامتدادِه، والسَّابلةُ: المختلفةُ في السُّبلِ جائية وذاهبة"[9].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضلّ).
(2) الراغب، المفردات: (ضلّ).
(3) ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: 2/15.
(4) الخليل، العين: (سيي).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).
(6) ابن دريد، جمهرة اللغة: (سأوي).
(7) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 141.
(8) الثعلبي، الكشف والبيان: 11/234.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبل).

والسَّبيلُ "كلُّ مأتيٍّ إِلَى الشَّيْءِ؛ فَهُوَ سَبيلُه"[1] وقدْ وردَ كثيرًا في القرآنِ الكريمِ، والغالبُ في معانيهِ أنَّهُ بمعنَى: الطَّريقِ[2]، وهوَ يذكَّرُ ويؤنَّثُ، وجمعُه على السُّبلِ، والسَّبيلُ في الآيةِ بمعناهُ المجازيِّ، أيْ: طريقُ الهدايةِ والإيمانِ؛ لأنَّه لمَّا "كَانَتِ الشَّرِيعَةُ تُوَصِّلُ سَالِكَهَا إِلَى رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى؛ كَنَّى عَنْهَا بِالسَّبِيلِ"،[3] فهو ليسَ الطريقُ بمعناهُ الموضوعِ في لسانِ العربِ.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل وثواب العمل به

يخبر اللهُ تعالى أنَّه أخذ العهدَ المؤكَّد على بني إسرائيل أن يُخلصوا له العبادةَ وحدَه، وأمر اللهُ موسى عليه السلام أن يجعل عليهم اثني عشر عَريفًا بعدد عشائرهم؛ ليكون كلُّ عَريفٍ ناظرًا عليهم، ورئيسًا على مَن تحتَه، يأخذُ هؤلاء العُرفاءُ عليهم العهدَ بالسَّمع والطَّاعة للهِ ولرسوله ولكتابه، وقال اللهُ لبني إسرائيل: إنِّي معكم بحِفظي ونَصْري، لئن أقمتم الصَّلاة، وأعطيتم الزَّكاة المفروضة مستحقِّيها، وصدَّقتم برسلي جميعهم - الذين أفضلهم وأكملُهم محمَّد ﷺ - فيما أخبروكم به، ونصرتموهم، وأدَّيتم ما يجب لهم من الاحترام والطَّاعة، وأنفقتم في سبيلي من الصَّدَقة وطيبِ المكسب والإحسان؛ لأكفِّرنَّ عنكم سيِّئاتكم، ولأُدْخِلَنَّكم جنَّاتٍ تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهارُ، فمن جحد هذا الميثاقَ منكم؛ فقد عدَلَ عن طريق الحقِّ إلى طريق الضَّلال[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

التَّعبير بالفعل (أخذَ) مع (الميثاق) مع أنَّه أمر معنويّ:

عبَّر هنا بالفعل (أخذَ) مع لفظ (الميثاق) في قوله تعالى:

(1) الكفوي، التعريفات، ص: 494.
(2) السمين، عمدة الحفّاظ: (سبل).
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/557.
(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 109، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 109.

﴿*وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، والأصل في الميثاق: دلالته على العقد والإحكام[1]؛ فجعل أخذ الميثاق - وهو أمر معنويٌّ - أي: "ألَّا تشركوا به شيئًا، وبالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وإحلال ما أحلَّ الله، وتحريم ما حرَّم الله، وحسن مؤازرتهم"[2]؛ فجاء التَّعبير هنا بهذه الصُّورة تنزيلًا للأمر المعنويِّ منزلةَ الحسِّيِّ؛ لأهمِّيَّته العظيمة؛ لما فيها من "معنى التَّشديد في العهد؛ لأنَّه مأخوذ مع الله ﷻ، وأيُّ عهد أقوى وأوثق من عهد يكون بين العبد والرَّبِّ"[3].

تنزيلُ المعنويِّ منزلة الحسِّيِّ لبيان أهمِّيَّته

وجهُ اشتمال الجملة على قد واللام:

قوله تعالى: ﴿*وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ممَّا يجوز لغة قوله: (وأخذَ الله ميثاقَ بني إسرائيل) إلَّا أنَّه جاء هنا باللَّام وقد (لقد)، فهو من باب توكيد "الْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ بِقَدْ وَباللَّام؛ لِلِاهْتِمَام بِهِ، كَمَا يَجِيءُ التَّأْكِيدُ بِإِنَّ لِلِاهْتِمَام، وَلَيْسَ ثَمَّ مُتَرَدَّدٌ، وَلَا مُنَزَّلٌ مَنْزِلَتَهُ"[4]، فالغرض من ذلك أن يهتمَّ للمعنى المراد، وهو الالتزام بالمواثيق والعهود.

الاهتمامُ بالمعنى المـــراد وهـــو الالتزام بالمواثيق

فائدة التَّعبير بالاسم الجليل (الله):

قوله تعالى: ﴿*وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ هنا جاء بالاسم الجليل (الله) في بدء الآية، والغاية منه لتربية المهابة، وتفخيم الميثاق، وتهويل الخطب في نقضه.

تربيـة المهابة وتفخيم الميثاق

دلالةُ التَّعبير بـ(نَقِيب) زنة (فَعِيل):

قوله تعالى: ﴿وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ﴾، النَّقيب اسم على وزن (فَعِيل)، والنَّقْب: هو الثَّقْب الكبير، والنقيب: هو الذي ينقِّب عن أحوال القوم، ومنه مناقبهم، أي: فضائلهم الَّتي تكون خافية،

صيغةُ «فَعِيل» تحتمل الفاعليَّة وتـــحـــتـــمـــل المفعوليَّة

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وثق).
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنّة: 3/479.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2070.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/139.

فتظهر بالتَّنقيب عنها، فهو هنا بمعنى: الفاعليَّة، ويجوز أن يكون "النَّقيب هاهنا: فَعِيلٌ، بِمَعْنَى: مَفْعُولٍ، يَعْنِي: اخْتَارَهُمْ عَلَى عِلْمٍ بِهِمْ، وَنَظِيرُهُ أَنَّهُ يُقَالُ لِلْمَضْرُوبِ: ضَرِيبٌ، وَلِلْمَقْتُولِ قَتِيلٌ"[1].

تقديم المتعلَّق (منهم) على المفعول:

التَّقديم لأجل الاهتمام وتشويقًا للمؤخّر

قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾، ﴿مِنْهُمُ﴾ جارٌّ ومجرور متعلَّق بـ﴿وَبَعَثْنَا﴾، و﴿ٱثْنَىْ عَشَرَ﴾ مفعول به[2]، والأصل في المتعلَّق أن يتأخَّر، لكنَّه قدَّمه هنا: "وتقديمُ الجارِّ والمجرور على المفعول الصَّريح لما مرَّ مرارًا من الاهتمام بالمقدَّم، والتشويقِ إلى المؤخَّر"[3].

غرض الالتفات في: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ﴾:

جريًا على سنن الكبرياء

قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ بعد قوله تعالى: ﴿*وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، فيه التفات من الغيبة إلى الحضور، والغرض منه أن يكون جاريًا على سنن الكبرياء[4] مع ما فيه من التَّعبير بالجمع، أو لأنَّ البعث كان بواسطة موسى عليه السلام.

وجهُ فرادة التَّركيب وقوَّته في قوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾:

التَّوكيدات المتكرِّرة لطمأنة المخاطبين

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾ جملة فريدة من نوعها؛ إذ لم يرد مثلها في القرآن الكريم جميعًا إلَّا في هذا الموضع، وهي جملة مركَّبة من مجموعة من الألفاظ الَّتي تشي بالقوَّة النَّاتجة عن التَّوكيد في مجموعها العامِّ؛ فقد صدَّرها بالفعل ﴿وَقَالَ﴾، والخطاب موجَّه لهم على تقدير: (وقال لهم)[5]، ثمَّ التَّصريح بلفظ الجلالة مع أنَّه ذكره أوَّل الآية، وتكرار ذكره يخلع على الجملة

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 11/188 - 189.
(2) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 2/428.
(3) أبو السعود، إرشاد العَقْل السّليم: 2/21.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/85.
(5) الرازي، مفاتيح الغيب: 11/189.

فخامة وتوكيدًا، ثمَّ زاد على ذلك (إنَّ) الدَّالَّة على التَّوكيد، وجاء اسمها ضميرًا دالًّا عليه ﷻ، ثمَّ جاء الخبر شبه جملة دالًّا على المعيَّة الَّتي تقوِّي الجملة، فمحصول الجملة مشتمل على توكيد إثر آخر، غرضه إيصال الطُّمأنينة للمخاطبين في أنَّه تعالى قريب منهم، "أَيْ: بِالنَّصْرِ وَالْحِيَاطَةِ، وَفِي هَذِهِ الْمَعِيَّةِ دَلَالَةٌ عَلَى عِظَمِ الِاعْتِنَاءِ وَالنُّصْرَةِ، وَتَحْلِيلِ مَا شَرَطَهُ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَأْتِي بَعْدُ"[1].

المجاز في قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾، تعبير المعيَّة تعبير مجازيٌّ، غايته: الإشارة إلى الاعتناء والحفظ والتَّأييد والنَّصر، وهو بمنزلة الجزاء على وفائهم بالميثاق[2]، وهو مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: 12]، وهذه المعيَّة المذكورة في الآيةِ الكريمة هي من المعيَّة الخاصَّة، المقيَّدة بشخص معيَّن، وهي من الصِّفات الفعليَّة لله تعالى؛ لأنَّ مقتضياتها تابعة لأسبابها، توجد بوجودها، وتنتفي بانتفائها، وتقتضي النَّصر، والتَّأييد لمن أضيفت له، وهي مختصَّة بمن يستحق ذلك من الرُّسل وأتباعهم، وهذه المعيَّة توجب لمن آمن بها كمال الثَّبات والقوَّة[3].

دلالة المعيَّة في ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ دلالة رقابيَّة:

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾، التَّعبير بالمعيَّة فيه دلالة أخرى، وهي دلالة رقابيَّة، "أي: إنَّه ﷻ مطَّلع على واقعكم... لأنَّ الله رقيب، وقوله الحقُّ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ تدلُّ على أنَّ مَن ولي أمرًا؛ فلا بدَّ أن يتابعه ويراه"[4].

وجه البدء بالصَّلاة في الأركان المأخوذة عليهم:

الصَّلاة ركن كلّ دين وبها طهارة النُّفوس

في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، ذكر هنا الأركان الخمسة الَّتي إن قاموا بها؛ كفَّر عنهم سيِّئاتهم، وهي: الصَّلاة والزَّكاة والإيمان بالرُّسل وتعزيرهم والإنفاق في سبيل الله، وقد قدَّم إقامة

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/203.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/141.
(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 5/193.
(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 5/2998.

الصَّلاة؛ لأنَّها "طهارة النُّفوس، وتزكية القلوب، وبها تربية الضَّمير الَّذي يكون جماعة مؤتلفة، وإقامتها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتربِّي في النَّفس روح الخير، والإحساس بعظمة الله تعالى، ولا يمكن أن يكون الوفاء بالميثاق الإلهيِّ من غير إقامة الصَّلاة؛ فإنَّها ركن كلِّ دين"[1].

معنَى الألفِ واللَّامِ في كلمةِ (الصلاة):

تزاحمُ الأقوالِ على بابِ القبولِ بتأييدِ السِّباقِ واللِّحاقِ

في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تحتملُ الألفُ واللَّامُ في لفظةِ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أنْ تكونَ للعهدِ، أي: الصَّلاةُ المشروعةُ، ويؤيِّدُه أنَّ الصَّلاةَ إذا أُطلقتْ في لسانِ الشَّرعِ؛ فلا ينصرفُ الذِّهنُ إلَّا للصَّلاةِ المعروفةِ، فهي حقيقةٌ شرعيَّةٌ، وإن كان الخطاب لبني إسرائيل، لكنْ ما المرادُ بالعهدِ: هل المكتوبةُ؟ أو جميعُ الصَّلواتِ، المكتوبةُ والمسنونةُ؟ الظَّاهرُ أنَّها المكتوبةُ، لأمرينِ وهما: الأمرُ بهَا، وقرنُها بالزَّكاةِ الواجبةِ، وحملُها على استغراقِ جميعِ الصَّلواتِ، فيدخلُ الواجبُ والنَّفلُ، يؤيِّدُه اللِّحاقُ، ويكونُ المقصودُ بالأمرِ بإقامتِها: تعديلَها والخشوعَ فيها، وأنْ تكونَ مقوِّمةً لصاحبِها، والمعنيانِ متزاحمانِ على بابِ القبولِ: الأوَّل يُؤيِّده السِّباقُ، والثَّاني يُؤيِّدُه اللِّحاقُ.

نكتةُ حذفِ المفعولِ الثَّانِي:

بيانُ أهمِّيَّةِ العنايةِ بالمالِ المُزكَّى، وإطلاقُ فعلِ الإيتاءِ لإظهارِ العجلةِ في ذلكَ

في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، المفعولُ الثَّاني للفعلِ ﴿وَءَاتَيْتُمُ﴾ في قولِه تعالَى: ﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ محذوفٌ، تقديرُه: مستحقِّيها، وحذفَ المفعول الثَّاني للإيجازِ وللعلمِ بهِ، ودليلُه: دليلٌ شرعيٌّ؛ لأنَّ الزَّكاةَ تصرفُ لمستحقِّيها، أمَّا غرضُ الحذفِ، وهو النُّكتةُ البيانيَّةُ؛ فهوَ لبيانِ أهمِّيَّةِ المعطَى لا المعطَى لهُ، وحثِّ المسلمينَ على العنايةِ بإيتاءِ الزَّكاةِ أكثر من العنايةِ بالمستحقِّينَ؛ فهؤلاء المستحقُّونَ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2072.

فصَّلتْ فيهم أدلَّةٌ أخرَى، وأمرٌ آخر: وهو إطلاقُ فعلِ الإيتاءِ بحيثُ يكونُ هَمُّ المزكِّي إيتاءَ الزَّكاةِ بما يُشابِه التَّخلُّصَ منهَا على وجهِ السُّرعةِ والعجلةِ.

نكاتُ تقديمِ جملةِ ﴿أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على جملةِ ﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، عُطِفتْ جملةُ ﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ على جملةِ ﴿أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بجامعِ أنَّهما أهمُّ ركنينِ من أركانِ الإسلامِ، والعطفُ هنا "بالواوِ المقتضيةِ عدم التَّرتيبِ، فإنَّهم معَ ذلكَ إنَّما يبدؤونَ بالأهمِّ والأولَى"[1]؛ فيُسألُ عن سرِّ تقديمِ الأمرِ بالصَّلاةِ على الأمرِ بالزَّكاةِ؟ وذلكَ يظهرُ من خلالِ النِّكاتِ الآتيةِ:

النُّكتةُ الأولَى تقديمُ الأصلِ على الفرعِ، والقاعدةِ الأهمِّ على القاعدةِ المهمَّةِ

ولا ريبَ أنَّ الصَّلاةَ: هي القاعدةُ الأهمُّ، والزَّكاةُ: هي القاعدةُ المهمَّةُ، وهذا بدهيٌّ في مقياسِ التَّفضيلِ، فهيَ عمادُ الدِّينِ، ومعَ ذلكَ فهما مطلوبتانِ، لكنَّ الأولَى أهمُّ من بابِ أنَّها جوازُ مرورِ العبدِ لتلقِّي الحسابِ؛ لقولهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ»[2]، والأمرُ الآخرُ: وهوَ أنَّ الصَّلاة تمثِّلُ القاعدةَ الَّتي تُقبَلُ الزَّكاةُ بناءً عليها، فهوَ من قبيلِ تقديمِ الأصلِ على الفرعِ.

النُّكتةُ الثَّانيةُ تقديمُ ما كانَ فيه الخطابُ للأعمِّ أولى ممَّا كانَ فيه الخطابُ للأخصِّ

المأمورونَ بإقامةِ الصَّلاةِ همْ أضعافُ المأمورينَ بإيتاءِ الزَّكاةِ، فالصَّلاةُ فرضُ عينٍ على كلِّ مسلمٍ، بخلافِ الزَّكاةِ فهي فرضٌ على كلِّ من مَلكَ النِّصابَ، وحالَ عليه الحولُ، وعليهِ فتقديمُ ما كانَ فيه الخطابُ للأعمِّ أولى ممَّا كانَ فيه الخطابُ للأخصِّ.

الصَّلاةُ عبادةٌ بدنيَّةٌ يوميَّةٌ تُقام خمسَ مرَّاتٍ في اليومِ والليلةِ، أمَّا الزكاةُ فهيَ عبادةٌ ماليَّةٌ سنويَّةٌ، فالوقتُ الذي تستغرقُه الصَّلاةُ من حياةِ المسلمِ وقتَه كلَّه، بينَما الزَّكاةُ لا تأخذُ إلَّا وقتًا

(1) ابن الزبير، ملاك التأويل: 1/37.
(2) الإمام أحمد، المسند، الحديث رقم: (16614).

يسيرًا جدًّا؛ فلهذَا حسُنَ تقديمُ ما يستغرقُ الزَّمانَ، على ما لا يأخذُ إلَّا الوقتَ اليسيرَ.

النُّكتةُ الثَّالثة تـقـديـمُ ما يستغرقُ الزَّمانَ على ما لا يأخذُ إلَّا الوقتَ اليسيرَ

سرُّ تأخير الإيمان بالرُّسل مع أنَّه مقدَّم على الصَّلاة والزَّكاة:

في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى﴾، هنا أخَّر الإيمان بالرُّسل عن إقامة الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة، مع أنَّ الإيمان مقدَّم عليهما، فالإيمان أساس، والصَّلاة والزكاة بناء، والأساس قبل البناء، وذلك لأنَّ "الْيَهُودَ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّهُ لَا بُدَّ فِي حُصُولِ النَّجَاةِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا مُصِرِّينَ عَلَى تَكْذِيبِ بَعْضِ الرُّسُلِ، فَذَكَرَ بَعْدَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ حَتَّى يَحْصُلَ الْمَقْصُودُ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ تَأْثِيرٌ فِي حُصُولِ النَّجَاةِ بِدُونِ الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ"[1].

من أهمِّ صفات اليهود تكذيبهم الرُّسل

في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى﴾، هنا قدَّم الصَّلاة والزَّكاة على الإيمان بالرُّسل، "وإقامة الصَّلاة: توفية شروطها، والزَّكاة هنا: شيء من المال كان مفروضًا... وقدَّم هذه على الإيمان تشريفًا للصَّلاة والزَّكاة، وإذ قد علم، وتقرَّر أنَّه لا ينفع عمل إلَّا بإيمان"[2].

تقديم الصَّلاة والزَّكاة على الإيمان من باب التَّشريف

في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾، هناك سبب آخر في تأخير "الإيمان عن إقامة الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة مع كونهما من الفروع المترتِّبة عليه... ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾"[3]، وهو اقتران لفظيٌّ ومعنويٌّ: لفظيٌّ بالمجاورة، ومعنويٌّ بأنَّ الإيمان بالرُّسل يقتضي طبيعة مؤازرتهم وتعزيرهم.

الإيـــمـــان بالرُّسل مقترنٌ بـتـعـزيـرهـم وتأييدهم

(1) القمّاش، الحاوي: 240/160.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/168.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 87 - 88.

في الآيـة إيمان ضمنيٌّ بجميع الـرُّسـل بعد موسى عليه السلام

في قوله تعالى: ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾، الإيمان بالرُّسل في هذه الآية ليس مقتصرًا على ما مضى كما هو ظاهر النَّصِّ، بل هناك "إيمانٌ ضمنيٌّ مقدَّر في ثنايا القول، وإن لم يكن مذكورًا، وإنَّ الإيمان بالرَّسل المذكور من بعد هو الإيمان بالرُّسل الذين يجيئون من بعد موسى، كعيسى ومحمَّد - صلّى الله تعالى عليهما وسلّم - حتَّى لَا يحسبوا أنَّ الرسالة مقصورة على موسى"[1].

تعزير الرُّسل يشتمل على دلالات متعددة:

منـه الـتَّـوقـير والـتَّـعـظـيـم والـنَّـصـر والـرَّدُّ والمنع

في قوله تعالى: ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾، تعزير الرُّسل هنا يشتمل على معانٍ متعدِّدة ملتقية، منها: النَّصر، ومنها منع العدوِّ عنهم، ومنها الردُّ، ومنها التَّوقير؛ لأنَّ التَّوقير والتَّعظيم من أسباب نصرة الرُّسل[2]، فضلًا عن عدم التَّهجُّم عليهم، والسُّخرية منهم، فهذه مجموعة دلالات تلتقي، ولا تفترق.

دلالة قوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ﴾ بعد ذكر الزَّكاة مع أنَّ بينهما تشابهًا:

الـــزَّكـــاة من الـــواجـــبـــات والـــقـــرض من المندوبات

في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، ذكر هذه الجملة بعد جملة من قوله: ﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، مع أنَّ جملة ﴿وَأَقْرَضْتُمُ﴾ داخلة "تَحْتَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ، فَمَا الْفَائِدَةُ فِي الْإِعَادَةِ؟ وَالْجَوَابُ: الْمُرَادُ بِإِيتَاءِ الزَّكَاةِ: الْوَاجِبَاتُ، وَبِهَذَا الْإِقْرَاضِ الصَّدَقَاتُ الْمَنْدُوبَةُ، وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ؛ تَنْبِيهًا عَلَى شَرَفِهَا وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهَا"[3].

الاستعارة في قوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ﴾:

مقابل القرض أن يكون جزاءً وثوابًا لكنَّه شبَّهه بمثله

في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، من باب الاستعارة؛ "لأنَّه سبحانه لمَّا وعد بجزائه والثَّواب عليه، شبَّه بالقرض الَّذي

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2074.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 5/301.
(3) القمّاش، الحاوي: 240/160.

يقضى بمثله، وفي كلام العرب قديمًا: الصَّالحات قروض ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾، وهو ما كان عن طيب نفس"[1].

وجه العدول الصَّرفي عن (إقراضًا):

الإقـــراض يشير إلـــى الـفـعـل المتبادل وهو غير مـراد بـل المـراد القرض نفسه

في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، عبَّر هنا أوَّلًا بالفعل المزيد (أقرضَ)، ولمَّا أراد أن يؤكِّده بالمفعول المطلق جاء بمصدر الفعل المجرَّد، والسِّياق لغة يقتضي التَّعبير بمصدر الفعل المزيد نفسه، بأن يقول: (أقرضْتم الله إقراضًا)، لكنَّه عدل عن مصدر المزيد إلى مصدر المجرَّد؛ "لأنَّ الإقراض هو العمليَّة الحادثة بين الطَّالب للقرض والذي يقرض"،[2] وهو غير مراد، بل المراد القرض نفسه، أي: ما يقدِّمه الإنسان، ثمَّ يجازى به.

دلالةُ وصف القرض بالحسن:

القرض الحسن الَّـذي يخلو من شائبة المـنِّ أو الأذى أو المنفعة

في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، قوله: ﴿حَسَنًا﴾ صفة للقرض[3]، وقد أورده مع هذه الصِّفة، "حتَّى لا يكون فيه منٌّ، أو منفعةٌ تعود على المقرض، وإلَّا صار في القرض ربا... والقرض الحسن: هو الذي لا يشوبه مَنٌّ أو أذًى أو منفعة"[4].

تقديم تكفير السَّيِّئات على إدخال الجنَّات:

الـتـطـهـيرُ من الـذُّنـوب تأهيل لدخول الجنَّات

في قوله تعالى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾، هنا قدَّم تكفير السَّيِّئات على إدخالهم الجنَّات، فـ"التَّكفير هو السِّتر والتَّغطية، وإنَّه يستر الذُّنوب حتَّى عن العاصي، فيمحو من ديوانه، وينسِي الحَفظَة سوالف عصيانه، وينفي عن قلبه تذكُّر ما أسلفه، ولا يوقِفُهُ في العَرْصة على ما قَدَّم من ذنبه، ثمَّ بعد ذلك

(1) الآلوسي، روح المعاني: 6/88.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 5/3004.
(3) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 2/428.
(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 5/3002.

يدخله الجنَّة بفضله"،[1] والتَّقديم هنا من باب أنَّ التَّطهير من الذُّنوب تأهيل لدخول الجنَّات.

التَّخلية مقدَّمة على التَّحلية

في قوله تعالى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾، هنا قدَّم تكفير السَّيِّئات على إدخالهم الجنَّات، "وأكَّد العطاء بمثل ما أكَّد الغفران، وقد قدَّم سبحانه الغفران على الثَّواب؛ لأنَّ الغفران تطهير، والتَّطهير مقدَّم على غيره، أو كما يقول العلماء: التَّخلية مقدَّمة على التَّحلية"[2].

وجهُ تذييل الآية بضلال السَّبيل للكافر:

قبحُ الكفر بقدر عِظَم النِّعمة المكفورة

في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، قد يرد سؤال، أنَّه كيف جاء هذا التَّذييل في الآية، مع أنَّ كلَّ كافر هو ضالٌّ للسَّبيل؟ والجواب عن ذلك: "نعم، ولكنَّ الضَّلال بعد ما ذكر من النِّعم أقبح؛ لأنَّ قبح الكفر بقدر عظم النِّعمة المكفورة، فلذلك خصَّه بالذِّكر، فَإِذَا زَادَتِ النِّعْمَةُ؛ زَادَ قُبْحُ الْكُفْرِ، وَبَلَغَ النِّهَايَةَ القصوى"[3].

عدم الاهتداء إلى السَّبيل تعبير مجازيّ:

التَّعبير بالحسِّيَّات تقريب للأمَّة وتشبيه من واقعها

في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، عدم الاهتداء إلى السَّبيل تعبير على طريقة المجاز؛ لأنَّ السَّبيل: هو الطَّريق، وهو الممتدُّ طولًا؛ سُمِّي بذلك لامتداده، والضَّلال المعنيُّ في الآية: ضلال العقيدة والدِّين، وفيه امتداد وتشعُّبٌ والتواءٌ، فهو ضلال معنويٌّ، لكنَّه شبَّهه هنا بالحسِّيِّ؛ لأنَّ القرآن نزل على أمَّة تحبُّ التَّشبيهات في أسمائها ونعوتها وأماكن سكناها، فأراد أن يقرِّب لها المثال، فمن الخير للإنسان أن يتوسَّط في مشيه؛ لأنَّ "اليمين والشِّمال مضلَّة،

(1) القشيري، لطائف الإشارات: 1/410.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2076.
(3) الرازي، أنموذج جليل، ص: 96.

وخير الأمور الوسط؛ لأنَّ الإنسان قد يتَّجه يمينًا، فيقع، أو يتَّجه شمالًا، فيقع، أو تقع عليه صخرة، ونجد الوالد ينصح ابنه، فيقول له: امشِ، ولا تلتفت يمينًا أو يسارًا، واتَّجه إلى مقصدك"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإيتاء والإعطاء:

إرشادُ المُزَكِّي إلى أن تكونَ زكاتُه صادرةً عن يُسْرٍ وسهولةٍ

جاءَ التَّعبيرُ بمادَّةِ الإيتاءِ في قولِه تعالَى: ﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، ولم يعبِّرْ بمادَّةِ الإعطاءِ؛ لأنَّ الإيتاءَ دالٌّ على المجيءِ بسهولةٍ ويُسْرٍ[2]، وقدْ خُصَّ هذا الفعلُ بدفعِ الصَّدقةِ الواجبةِ حيثُما وردَ في القرآنِ الكريمِ[3]، وعليهِ فالآيةُ تُرشدُ إلى أن تكونَ الزَّكاةُ مُؤدَّاةً بيُسرٍ وسهولةٍ.

أمَّا فعلُ الإعطاءِ؛ فإنَّه "اتِّصَال الشَّيْء إِلَى الْآخِذ لَهُ، أَلا ترى أَنَّك تُعْطِي زيدًا المَال؛ ليَرُدَّهُ إِلَى عَمْرو، وتعطِيه ليتَّجرَ لَك بِهِ"[4]، أي: إنَّ المعطَى يُعاد إلى المعطِي هذا أصلُه، وهذا ليسَ متعيَّنًا في فعلِ الإيتاءِ، فإنَّ الزَّكاةَ حقُّ اللهِ في المالِ، وهي بمنزلةِ الهبةِ، فلا تعادُ، وهذا هو الأنسب في التَّعبير.

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 5/305.
(2) الراغب، المفردات: (أتى).
(3) السمين، عمدة الحفّاظ: (أتى).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 167.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»